رؤية تحليلية نقدية لـ " منهجية [نظرية] الحتمية القيمية في الإعلام "
للباحث المفكر الأستاذ الدكتور عزي عبد الرحمن

أ.د. أحمد عيساوي
جامعة باتنة – الجزائر

*** [المدخل] مقاربة مفتاحية :**

ينقل الأستاذ " نصير بوعلي " مقولة للأستاذ " عبد الرحمن عزي " تعبر بصدق عن حال المثقف الرسالي والمحترم جدا ، وهو يعاني من إكراهات ورذائل وواقع النخبة العربية الجامعية المُتخلفة ، فيقول : ((.. حسبي فإن الفرد لا يحظى عادة بالتقدير الكافي ممن حوله وإنما في كثير من الأحيان ممن هم أبعد، ومن طلبته ربما أكثر من قرنائه من الأساتذة، فرغم أن معظم تدريسي كان في جامعة الجزائر إلاّ أن معظم الكتابات عن إسهاماتي أتت من جامعتي الأمير عبد القادر بقسنطينة وجامعة باتنة ..)) .[1]

ولا تعليق لنا على هذا المستوى الأخلاقي والاقتداري الذي آلت إليه النخب الجامعية في المجتمعات المتخلفة ، والذي يعكس حالة التيه والضياع والغيبوبة الحضارية والرسالية، سوى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب الصحابي الجليل خباب بن الأرت رضي الله عنه : ((.. إنها السنن يا خبّاب ، ولكني أراكم تستعجلون ..)) . والمعنى الذي نستخلصه من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا تُلخصه الحكمة القائلة: (البقاء للأصلح)، لأنّ الزبد يذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث وسيمكث في الأرض .

وهذا ما يفسر قلة الدراسات التي قامت حول هذه النظرية المتميزة، فعدا "حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية " وما عرضه الأستاذ " نصير بوعلي " عن الطلبة والباحثين الذين اختاروا البحث في نظيرة الحتمية القيمية و" قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام " ، وما ذكره الأستاذ الدكتور " محمود قلندر " في دراسته القيمة " الحتمية القيمية الإعلامية مقاربة أصيلة لعلوم الاتصال " لم تتعد الأبحاث سوى بضع دراسات .[2]

وإنه ما من شك أن أي باحث إسلامي رسالي في مجال علوم وأبحاث الإعلام والفكر الاتصالي قد شعر بكثير من النشوة والفرح عندما قابل أبحاث الأستاذ الدكتور " عبد الرحمن عزي " في مجال الطرح القيمي الرسالي في هذا الميدان العلمي والحقل البحثي المنهجي المتميز، الذي كان ومازال حكرا لنظريات وأبحاث ودراسات الآخر العقلاني المادي البحت ، أو الآخر الحداثي المفرط في الاهتزاز والتسارع والإيغال إلى مستوى ما فوق التقني والتكنولوجي

---

[1] انظر : حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر، الطبعة الأولى ، 2011م ، ص 59 .

[2] انظر : قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م ، ص 34 و 35 .

والإلكتروني، وعدَّ أن نظرية أو منهجية الحتمية القيمية هي نظريته التي طالما كان ينتظرها لسد ومنافسة الطرح المادي والوثني والديني المخالف واللاديني في مجال البحث والدرس الإعلامي والاتصالي .

وسرعان ما انتقل لجمع أو استرجاع التراث الفكري والمعرفي والعلمي والمنهجي الخاص بالأستاذ عبد الرحمن والانكباب على قراءته ودراسته وتحليله، ليستجمع بقراءاته التحليلية النقدية تلك معالم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام – على حد دعوة الأستاذ " نصير بوعلي " – [1] ، وليتبين البديل الجديد في هذا الحقل الحافل والزاخر بكل القيم والمبادىء والمُثُلِ البشرية الإنسانية، عدا القيم الإسلامية الفطرية السوية التي فطر الله الناس عليها، التي جاءت دراساته وأبحاثه للتأكيد عليها ووضعها في مصاف النظريات المُنتظمة للحقلين الاتصالي الإعلامي والثقافي، والتي ستمكن المؤسسات والهيئات والكيانات الصاعدة من التمتع بنعمة المنجزات الحضارية في ظل وسطية الفطرة الإسلامية وقيمها السوية .

وقد أنتج هذا الوضع المعرفي الجديد أثناء التعامل مع معالم ومكونات هذه النظرية، جملة من الملاحظات والانشغالات، والتي لن ترتقي في منظورنا لمستوى الافتراضات، والتي نحب أن نطرحها على شكل تساؤلات أو استفسارات في هذه المداخلة ، متجنبين قدر الإمكان التقرير والحكم والوصف والثناء، إلاّ فيما نراه مزية تنضاف لمجال الطرح القيمي الرسالي، لاعتبارات كثيرة لعل أهمها تأدبنا مع أساتذتنا من جهة، وحبنا لمعرفة الحقيقة بشكل أدق من شخص أستاذنا، لأن المعنى كما يقولون في بطن الشاعر .

ولكن قبل كل هذا وذاك لا بد لنا من نافذة مفتاحية استطلاعية في بعض كتابات الباحث عزي عبد الرحمن التي تمت قراءتها قراءة متأنية وتحليلية، شكلت لنا مدخلا تأسيسيا عاما، وبعض القراءات التي قامت حولها [2]، ولكن ما يعنينا بالدرجة الأولى أشهر نتاجاته، وهي:

1 – " تعثر الرسالة في عصر الوسيلة " ، ملتقى الفكر الإسلامي الثالث والعشرون المنعقد في تبسة أيام 28 أوت .. 5 سبتمبر 1989م تحت شعار نحو مجتمع إسلامي معاصر . وقد أعاد الباحث نشرها في كتابه المشترك مع الأستاذ السعيد بومعيزة ، ص248 .. 264 . وكنت من بين من حضر ملتقى الفكر الإسلامي الثالث والعشرون بمدينة تبسة وسمعتها من الأستاذ مباشرة ، وأمتلك نسخة أصلية منها .

وهي من أهم وأسبق الدراسات والأبحاث القيمية في مجال البحث والدرس الإعلامي التي تُسجل للأستاذ .

---

[1] انظر : حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر، الطبعة الأولى ، 2011م ، ص 34 .. 36 .

[2] انظر : قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م .

2 – " الرأي العام والعصبية والشورى " ، المجلة الجزائرية للاتصال عدد 5 ، شتاء 1991م.

3 – " وسائل الاتصال والمجتمع الريفي في العالم العربي : أزمة المنطلق وتمدن الرسالة " عدد 6 و 7 ربيع وخريف 1992م .

4 – " التواصل القيمي في الرحلة الورتيلانية " دار كنوز الحكمة ، الجزائر ، الطبعة الأولى، 1432هـ 2011م .

5 – القيمة والإعلام والبنية البيولوجية للعقل والتفكير، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، عدد 16 ، جمادة 1429/2هـ جوان 2008م ، ص 7 .. 54 .

وتُعد هذه الدراسة [القيمة والإعلام والبنية البيولوجية للعقل والتفكير] من أفضل الدراسات التي قرأتها بتوسم وشغف، وأعدت قراءتها قراءة تحليلية مدققة وعميقة، وهي أرفع الدراسات الفكرية وأعمقها، وأعلاها تشخيصا ودقة، ووضوحا معرفيا وفنيا وفكريا ومنهجيا من وجهة النظر النقدية المنهجية الإسلامية الأكاديمية، على الرغم من تنوع ينابيعها ومصادرها العرفانية والعلمية، وتمدد جذورها وجسورها المعرفية والتأسيسية، وامتداداتها العلمية والتجربية الأفقية والعمودية في عوالم معرفية متنوعة إيديولوجيا ومنهجيا ولغويا واصطلاحيا وعلميا لما عند منجزات وتراكمات العقل الآخر في مجالات البحث القيمية، والإعلامية الاتصالية، والبيئية والبيولوجية، وهو ما وددت التنويه به في مطلع هذه التوقيعات والتأشيرات المعرفية .

6 – الإعلام والمجتمع رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية والإسلامية لـ أ . د . عبد الرحمن عزي ، و د . السعيد بومعيزة ، دار الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى ، 2010م .

وهو مؤلف إعلامي واتصالي متميز من حيث الطرح والمنهج والقضايا والمعالجة، وهو من تقديم الأستاذ المفكر والمعلم المتميز في هذا المجال زهير إحدادن يحفظه الله ويرعاه، ويضم مجموعة من الأبحاث: الصحافة العربية في التاريخ والواقع، مقاربات نظرية في بحوث الإعلام: المنظور الوظيفي في بحوث الإعلام مقترب الاستعمالات والإشباعات والمقترب المعرفي في بحوث وسائل الإعلام والمؤسسة والمرسل والمراقبة الاجتماعية وتعثر الرسالة في عصر الوسيلة والجمهور والثقافة الإعلامية الانترنيت والشباب وتأثير وسائل الإعلام في الأنظمة الاجتماعية والمنهج في علوم الإعلام والعولمة الإعلامية .

وهو من أرقى وأدق وأجدر ما كتب الأستاذ، ويستحق – بعد دراستي له – أن يكون بحق مصدرا أساسيا لطلبة الإعلام والاتصال في الجامعة الجزائرية.[1]

* المعالم الْمُتَبَيِّنَة :

وقد تبين لي من خلال قراءتي التحليلية العميقة، والنقدية المتأنية، والتفكيكية والتركيبية لبعض مؤلفات ونتاجات المفكر عبد الرحمن عزي المُشار إليها في مطلع المداخلة، أنها تتسم بالسمات التالية:

* اللغة النحتية :

إن القارىء لنتاجات الأستاذ " عبد الرحمن "يجد نفسه أنه أمام تشكيلة راقية من الألفاظ والمعاني والمصطلحات، ويتبين سلامة ودقة ووضوح لغتها، فهي لغة نحتية مستقلة، تنبىء عن قدرة فائقة في التحكم بناصية اللغة العربية التراثية والمعاصرة في شقيها الأدبي والعلمي والاصطلاحي الدقيق، ولاسيما في حقل الدراسات الاتصالية والإعلامية عموما والفكرية الفلسفية على وجه الخصوص، الأمر الذي يُوحي بتحول قلم المفكر عبد الرحمن من الشق الإعلام والاتصالي صوب عوالم الفكر والفلسفة نظرا لضيق أفق الحقل والفضاء البحثي الإعلامي والاتصالي الذي ضاق أو كاد يضيق عن أمثال المتمكنين والمتشبعين من بحوثه، والتي صارت – في معظمها – تابعة لراهن المهيمن التكنولوجي وصانع ومنتج الوسائط، وهو ما تميز به في لغته .

مع ملاحظة فاعلية القدرة العلمية والتعبيرية على صياغة تراكيب وتعابير تستطيع حمل المعاني المقصودة، والقادرة على صياغة الطروحات باللغات الثلاث .

* الصرامة المنهجية :

القدرة على تفكيك وتمييز المصطلحات المنهجية (بحث، تحليل، منهج، نظرية، استبيان، وسيلة ..)، ودقة وصرامة العرض المنهجي الواضح القسمات من حيث: التدرج والانتقال في العرض والتحليل والتفكيك والبناء الجزئي فالكلي للفكرة الرئيسة والأفكار الأخرى، ما

---

[1] يُعد هذا الكتاب أهم كتاب قررته على طلاب الماستر والدكتوراة قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة الحاج لخضر بقسم العلوم الإسلامية 1434-1435هـ 2013-2014م لدراسته التحليلية في الجزء التطبيقي .
فضلا عن القراءات الموازية الأخرى كـ :

1 - قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م .

2 - حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر، الطبعة الأولى ، 2011م .

3 – نصير بوعلي ، الإعلام والبعد الحضاري ، دار الفجر ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 2007م .

4 – مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة ، عدد 1 و 2 .

5 – المجلة الجزائرية للاتصال الصادرة عن معهد علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر العاصمة .

6 – موقع الأستاذ عبد الرحمن عزي الإلكتروني .

يُنبىء عن شخصية صارمة من الناحية المنهجية، وهذه سمة تغلب على المشتغلين في حقول الدراسات الإعلامية والاتصالية والاجتماعية والنفسية والإنسانية عموما .

* التمدد والتجذر :

استيعاب وهضم معارف وعلوم وفلسفة الآخرين وبخاصة ماُ أنتج في حقل العلوم الاجتماعية والإنسانية، ولاسيما ما كُتب باللغتين الإنجليزية والفرنسية، والقدرة على نقده واستبعاد المتأزم والقاصر والموتور والناقص منه معرفيا وعلميا ومنهجيا واصطلاحيا، والقدرة على إعادة تسويقها وفق منطلقات وأطر وآليات التشبع القيمي المرغوب منهجيا وغائيا لدى الأستاذ عبد الرحمن .

ووضوح المنطلقات والأطر المرجعية والمعرفية والعرفانية أيضا لدى الأستاذ عبد الرحمن مع قدرة فكرية وعلمية وفلسفية فائقة في التحكم في الغايات والأهداف الخاصة والعامة، لاسيما فيما يريد توصيله في مجال الخصوصية القيمية – حسب نظريته أو منهجيته – في مختلف جوانبها الشكلية أو الفلسفية، ولاسيما في جانبها الإجرائي.

* الإنية والانفتاح :

يُلاحظ بوضوح التماسك الإنيّ – على حد تعبير المفكر الجزائري المرحوم مولود قاسم – والتمدد نحو نتاجات الآخر، ماُ يوحي للمطلع المبتدىء للوهلة الأولى وجود بقايا من رواسب عمليات التكوين والتأطير والتلقي الأولية أو الآنية – بحكم الاطلاع والتواصل المعرفي الدائم والمستمر – سواء في النسق المعرفي كمصطلحات التراث المادي في شقه الإلحاديي (الحتمية)[1]، أو المنهجي (الاستسلام للمناهج التجريبية) في شقها المادي، أو التأثري في شقه المعرفي العلماني (منتجات الفكر الغربي)، ولعلها تعود أيضا إلى وضوح ظاهرة وقواعد الاستحسان لدى الأستاذ " عبد الرحمن" حيث لا يرى بأسا في الاستفادة مما عند الآخر شريطة الحضور الواعي أثناء عملية الأخذ على حد تعبيره في حوارات أكاديمية.

غير أنها في حقيقتها – على حد وصف الباحث " محمود قلندر" – وهو يستوحي تفسير الأستاذ " عبد الرحمن " بأنها شكل من أشكال تجانس الثنائي بين " العقلية الشرقية " و" المنهجية الغربية "، ولعلها حالة – نفسوفكرية – من حالات التحليل والنقد الذاتي للمخزون المعرفي المستجلب وإعادة صياغته بعد تنقيته بعيدا عن إكراهات وحتميات الراهن الغالب والمهين، وهي

---

[1] الحتمية نتيجة طبيعية ليقينية تصورات ومعارف ومنجزات الحداثة وما بعد الحداثة في عوالم التكنولوجيات خصوصا ، وهي موجة حضارية أَلّهَتْ العقل ووثقت بقدراته اليقينية الخارقة للتصدي لتعقد المشاكل العالمية ، أثّرت في الفكر الغربي والعالم بأسره وهي التي أنجبت سلسلة الحتميات : [الحتمية التاريخية ، الحتمية البيولوجية ، الحتمية اللغوية ، الحتمية الاقتصادية ، الحتمية القيمية العولمية " الخلق العالمي "] . انظر : نبيل علي ، محورية الثقافة في مجتمع المعرفة رؤية عربية مستقبلية ، كتاب العربي 81 ، يونيو 2010م ، الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة ، ص 44 .

مرحلة وحالة يمر بها العقل والمجتمع لفترة ما، تمهيدا للدخول في المرحلة الموالية التي تضع حدا للتعامل التأسيسي مع سابقتها، كونها مرحلة مستقلة تعتمد على التأصيل الذاتي . [1]

* محاولات الأسلمة:

ويبدو أهم مظهر فيها المحاولات الجرئية والواضحة والمباشرة في العودة إلى الذات واكتشاف الآخر بمعزل عنه وعن عنفه المعرفي الخفي وقهره الوسائطي الجلي، ولعل محاولة الأسلمة المحتشمة والمغلفة إيديولوجيا، تحت غطاء البعد القيمي كستار أو مدخل فلسفي علماني يُجيِّرُ التجانس الثنائي[2] المعرفي والمنهجي السوي بين الفضائين الشرقي والغربي، مع نية لاستبعاد مفهوم أو مصطلح الأسلمة أو التأسيس الإسلامي المعرفي المستقل، ما يُنبىء عن انصهار تراكم معرفي خليط أو مزيج، يحتاج إلى تصفية شاملة لجيوب التبعية الإيديولوجية للماضي أو الراهن الفكري والمعرفي الموروث، وقد بدا ذلك الخلط في كتاب (حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام) حول محدودية وفقر النص القرآني عن مد العملية الإعلامية بالأسس الفلسفية الكافية، واستبدالها بالمصطلح العلماني الموروث من وافده الماضي والراهن، ولعلها محاولة بدت في شكلها مظهرا من مظاهر الحياد المنهجي، أو محاولة للوقوف موقفا وسطا بين دعاة الأسلمة، والمناوئين لها، أو لصعوبة ولوج الفضاء الفقهي والمقاصدي الشرعي عبر بواباته المعرفية والمنهجية الدقيقة.

* الحاجة إلى الانتقال من النحت إلى الصقل المعرفي:

إن المتابع لواقع الدرس والبحث الإعلامي والاتصالي الأكاديمي العالمي يتبين بسهولة انسداد الأفق الاتصالي والإعلامي – وهو مسدود فعلا بحكم الحتمية التبعية – ما يدفع المشتغلين به إلى الميل في دراساتهم لحساب التفكير الفلسفي والاجتماعي والثقافي، ونظرا لانسداد الأفق البحثي في الفضاء الاتصالي والإعلامي، ما يُنبىء بالانسلاخ من أثر الوسيلة لحساب المضامين، حيث يتأكد الأثر العكسي هنا من خلال اللجوء إلى دراسة تأثير المضامين على حساب تأثير الوسيلة بشكل جلي .

---

[1] انظر : عبد الرحمن عزي ، دراسات في نظرية الاتصال ، نحو فكر إعلامي متميز ، سلسلة كتب المستقبل العربي (28) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص 13 ، نقلا عن : نصير بوعلي ، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م ، بحث محمود قلندر ، الحتمية القيمية الإعلامية مقاربة أصيلة لعلوم الاتصال ، ص 20 .

*** ملاحظة : وقد مضى الباحث الأستاذ " محمود قلندر " في عوامله التمهيدية إلى التأكيد على هيمنة الراهن الغالب الرقمي المنهمر بسيوله الرقمية وزخمه الإلكتروني والوسائطي السريع جدا والمذهل جدا والذي لا تنقطع ولا تتوقف عطاءاته .** انظر : ص 16 .

[2] الثنائية مرحلة وحالة مزمنة تعتري الدارس الأصيل المتجذر والمنفتح معا ، ولعلها ما يميز النخبة العربية والإسلامية المثقفة الفاعلة والمنتجة ، عكس الفصيلين الآخرين الواقفين على طرفي التقليد والانسلاخ .

وقد بدا ذلك واضحا في ثلاثية (الثقافة ، القيمة ، وسائل الاتصال) [1] ، حيث تختزل الوسائل الاتصالية الفضاء الرمزي، وتتمظهر الثقافة في الفضائين الفكري والسلوكي، وهو عين ما يذهب إليه مثقفو الشيعة في تناولهم لهذه الثلاثية [فكر، فقه، ثقافة]، التي تحتاج لتزكية الفقيه، وهو الذي أشار إليه الأستاذ " عبد الرحمن " باحتشام عند تناوله لمصادر مرجعياته، حيث رأى قيام ومحاولاته الذاتية في هذا الجانب، وأعتقد أنه بحاجة ماسة لتزكية الفقيه السني هنا، أو اعتماد منهجية البحث المشترك أو الجمعي المميز بتعدد وتنوع الاختصاصات.

* النخبوية السامقة:

عدا الدراسة القيمة (تعثر المضمون في عصر الوسيلة) الإعلامية والاتصالية، التي سمعها الباحث مباشرة من الأستاذ الدكتور المفكر عبد الرحمن عزي في ملتقى تبسة حيث تعرفتُ عليه، فالباقي أبحاث ودراسات فلسفية وفكرية سامقة حسب مناهج البحث السائدة في مجال الدراسات الأكاديمية:) المنهج التجريبي، الحدسي، الاجتماعي، التفكيكي، التركيبي، المعرفي، المحتوى المضموني)، تتسم بالنخبوية العالية جدا، وبالطرح الدقيق الذي يعسر على جماهير الباحثين الجامعيين ولاسيما طلبة الدراسات الصفية، ما يجعل النظرية نخبوية جدا، وتحتاج إلى شرّاح يكتبون حولها الشروح والحواشي. وهو ما جعل التعقيد ميزة تتسم بها النظرية على العكس من النظريات الغربية التي تتسم بالسهولة واليسر والبساطة، حتى وجدت لنفسها

---

[1] انظر : نصير بوعلي ، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م ، بحث السعيد بومعيزة ، من حتميات التحديث إلى الحتمية القيمية محاولات قراءة مقارنة لنظرية عبد الرحمن عزي ، ص 52 . **وعند شرحه للقيمة ومصدرها في نظر عبد الرحمن عزي أرجعها بحسبه للدين فقط ، ولكنها في المنظومة التشريعية الإسلامية تضم معها العقل كمنتج آخر للقيم ، وهي منطقة الاجتهاد والاستحسان والقياس والمصالح الرسلة ، فالعقل المسلم السوي مسموح له بإنتاج القيمة بشروط الاستناد لقواعد المرجعية ، حيث تلتقي الحكمة الربانية مع توافقات الحكمة الصحيحة ، وقد اثنى المولى تبارك وتعالى على العقل في القرآن الكريم ، وجعله أربع مراتب حسب الأستاذ [عباس محمود العقاد ت 1964م] : [العقل الوازع ، العقل المدرك ، العقل الحكيم ، العقل الرشيد] .**

وعند [الحكيم الترمذي ت 320هـ] العقل أربعة أقسام هي :

1 – عقل الفطرة . 2 – عقل الحجة . 3 – عقل التجربة . 4 – العقل الموروث .

1 – عقل الفطرة : وهو الذي يخرج به الصبي والرجل من صفة الجنون ، فيعقل ما يقال له . ويميز بين الخير والشر ، ويعرف به الكرامة من الهوان والربح من الخسران ..

2 – عقل الحجة : وهو الذي به يستحق العبد من الله تعالى الخطاب ، فإذا بلغ الحلم يتأكد نور العقل الذي وصف بنور التأييد ، فيؤيد عقله فيصل إلى خطاب الله تعالى .

3 – عقل التجربة : وهو أنفع الثلاثة وأفضلها ، لأنه يصير حكيما بالتجارب ، يعرف ما لم يكن بدليل ما قد كان ، وهو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا حكيم إلاّ ذو تجربة ، ولا حليم إلاّ ذو عثرة " .

4 – العقل الموروث : وهو العقل الذي يمنحه السلف للخلف .

لمزيد من التوسع انظر : عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، دون طبعة وتاريخ ، ص 14 .. وأحمد عيساوي ، مقاربات فكرية معاصرة ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1433هـ 2012م ، ص 53 .. 57 .

مناصرين جماهيريين، وهو ما أشار إليه الأستاذ نصير بوعلي في حواره وهو يجيب على السؤال رقم تسعة ، ومفاده الشكوى من صعوبة فهم كتابات الأستاذ عبد الرحمن .[1]

أما دراسة " الرأي العام والعصبية والشورى " فهي بحث ومدخل معرفي سياسي من منظور فكري تراثي ومعاصر معا، تمت فيه عمليات مقاربة معرفية لعرض مقاطع من التراث مضيئة تضاهي الراهن المعرفي والفكري الغربي المهيمن بغرض الانتصار والتأكيد على الذات، ما يُنبىء عن معاودة التنيه إلى منافع الطرح الخلدوني في دراسة ومراقبة الحراك الاجتماعي المدني والريفي والبدوي وظاهرتي التحضر والتخلف .

أما دراسة "وسائل الاتصال والمجتمع الريفي في العالم العربي: أزمة المنطلق وتمدن الرسالة " فقد عالجت بعمق مشاكل الانتقال الريفي للتعامل القسري مع منجزات المدنية الغربية المتمدنة ومخاطر ذلك على استمرار وصيرورة وأصالة التماسك الثقافي في مجتمعات التقليد الريفية، ما تُنبىء عن رؤية تحليلية وقائية وتحذيرية لمخاطر الارتماء في التبعية للآخر، وهو طرح لا يخرج عن السياق البنبي – نسبة لمالك بن نبي – .

وكذلك الأمر بالنسبة لدراسة "التواصل القيمي في الرحلة الورتيلانية " شكل من أشكال التأصيل في تسمية المقاصد والفنون التراثية ومحاولة إخضاعها للمضامين المعرفية والمنهجية والاصطلاحية المعاصرة، فهي لا تعدو أن تكون نسقاً واضحاً في تراكمات المكتبة العربية في عالم الرحلات والوصف، مغاير لمفهوم التقرير الصحفي، ولعلها تشبه إلى حد كبير التقرير أو الريبورتاج الصحفي مع الفارق، وهو ما اكتشفه وبيّنه الأستاذ في مقدمته تلك.[2]

* تعثر انتشار النظرية بسبب غياب المثقف القيمي:

بدت نظرية الحتمية القيمية في الإعلام متكاملة من الناحية النظرية والعملية التطبيقية من وجهة نظر واضعيها ودارسيها ومناصريها ومنتقديها، وقد راعت وحرصت على استكمال سائر عناصرها الفلسفية والمعرفية والمنهجية من خلال عملية التقعيد والتنظير، ولكنها تناست أو رأت أنه ليس من مسؤوليتها ووظيفتها وضع ونشر وشرح أدبيات وآليات صناعة الفرد المثقف القيمي، الذي يحمل على عاتقه رسالة وغايات وأهداف نشرها وتطبيقها وتعميمها على مستوى النخب الجامعية أولا، ثم على مستوى المؤسسات الإعلامية المنتجة للثقافة الاتصالية ثانيا .

ونعتقد أن عامل غياب النخبة القيمية هنا – بفعل حالات الخنوس القيمي – ركن فعال ومتغير مهم ورئيسي في نجاح نشرها كبديل ووعاء معرفي ومنهجي وعملي في أهم ميدان حيوي

---

[1] انظر : حوار محمد هاشم كريم مع الأستاذ نصير بوعلي السؤال التاسع ، حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2010م ، ص 34 .. 60 .

[2] قامت مجموعة من تلاميذ وأصدقاء الأستاذ عبد الرحمن بدراسات مختصرة عن هذه الأبحاث انظر : حوار محمد هاشم كريم مع الأستاذ نصير بوعلي السؤال التاسع ، حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2010م .

إنساني . وقد يكون لعاملي الزمن والتدافع القيمي دورهما في نشأة وبلورة وفاعلية فصيل النظرية في عوالم الفكر والمعرفة والهيئات والمؤسسات والشركات والمُجمعات أيضا .

* خطوط ونتائج تصورية :

وبعد هذه الإضاءة المعرفية والمنهجية النقدية عن أهم وأشهر ما وصل إلينا من أبحاث ودراسات الأستاذ " عبد الرحمن " وأهم ما قُدِّمَ عنه، نحاول أن نتناول معالم رؤية تحليلية نقدية جديدة كقاعدة تمهيدية لتفكيك الـ : [منهجية] حسب الباحث عبد الرحمن، و[النظرية] حسب سائر الدارسين ، ولاسيما بوعلي وبومعيزة.

* المقاربة الحقيقية :

* رؤية تفكيكية تحليلية نقدية لكتاب :

[منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم] للبروفيسور عبد الرحمن عزي، الدار المتوسطية للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 1434هـ 2013م .

أولا – الملاحظات على المقدمة:

تحتوي مقدمة الكتاب جملة من الملاحظات الواجب التنويه بها ، وهي :

1 – الحاجة إلى المعرفة الشرعية:

العنوان الوارد في التقديم (في الحاجة إلى فكر منهجي قيمي) يستدعي الفهم على نسقين ، أما النسق الأول فهو : افتراض فرد منفتح غير محصن إيديولوجيا ودينيا ومعرفيا وثقافيا ومنهجيا ، فهو بحاجة إلى مثل هذا التحصين الحاجي . وأما النسق الثاني فهو : الاستغناء عن هذا الدافع الحاجي بافتراض منظومة مؤسسة مرجعيا ومنهجيا ومعرفيا وثقافيا، فمن تكَوَّنَ وتشبع بالحد الكافي واللازم من القيم خلال سني تعلمه الأولى تحصن وصار عاكسا لمحتواه القيمي، وهنا تبدو جلية علاقة الفقه بالفكر، حيث تبدو حاجة الباحث في أي مجال من المجالات للاستنارة الفقهية، فالفقيه تبع للمفكر والدارس، وهو بدوره تابع للفقه والفقيه، وقد يستجمعهما الباحث معا، وهي غير متأتية للكثير من الباحثين الجمع بينهما .[1]

وهو ما حاول أن يبرره بدافع عاطفي الأستاذ نصير بوعلي في الحوار عندما تعرض لمشروع الإعلام الإسلامي وموقف الأستاذ عبد الرحمن منه، فالتوقف بحسبه كان لأسباب تقنية ، والتقنية هنا الفقهية والشرعية التي تحتاج إلى معرفة بالقواعد الأصولية والفقهية والمقاصد وفقه التعامل مع النصوص وإنزالها على الوقائع والأحداث والقضايا . وقد عقَّدَ الأستاذ نصير بوعلي

[1] ما يعزز هذا التصور الحوار الذي أجرته الأستاذ رقية بوسنان مع الأستاذ عبد الرحمن بدءاً من سؤال رقم 5 .. وانتهاءاً عند السؤال رقم 10 ، في علاقة الفكر والبحث بالفقه والشريعة . انظر : حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2010م ، ص 18 .. 25 .

الموقف وأضاف شيئا من التساؤلات والافتراضات غير السليمة عندما حكم عليه بالجملة التالية : [المشروع – الإعلام الإسلامي – يخلو من الأدوات ويجعل النص نهاية تحليله] ، وهنا نطرح تساؤلا مهما حول خلودية النص لنجلو الضباب الذي أضافه الأستاذ نصير في حواره ، وأعتقد أن الأستاذ " عزي " لا يقصد ذلك البتة ، وينأى بنفسه أن يعتبر البحث في نظرية الإعلام الإسلامي أن يصبح النص القرآني المرجعي غاية البحث العلمي . [1]

2 – غياب المقايضة المتكافئة :

المقدمة يفترض فيها صاحبها طرحا منهجيا مغايرا ومتماشيا مع النظرية القيمية ، ولكن سرعان ما تتم عملية استعراض خليطة بين مناهج البحث الأصيلة والوافدة ، الأمر الذي يستدعينا لتوضيح مسألة مهمة جدا ، حيث أن الآخر لما استفاد منا في عصور النهضة والبعث أثناء وبُعيد الحروب الصليبية (497–690هـ 1099–1291م) أخذ منا علما ومعرفة مصانان من مصادر محمية ، ومحفوظان من الزلل بضمانة الأطر المرجعية المقدسة ، ومن عقل محصن محمي سوي ومتزن . أما نحن فنأخذ اليوم من عقل غير محصّنٍ ومهزوز قيميا ، ولا يمتلك غير مرجعية البحث والنظر والتجربة (الامبيريقية)، التي أفرزت سيولا من الفلسفات العبثية واللامعقولة وصولا للنفكيكية والبنيوية والظاهراتية ممثلة في عقل الحداثة وفلسفة وعقل ما بعد الحداثة . [2]

3 – محاولات التخلص من إكراهات القاهر الوقتي:

الطرح هنا لا يختلف عن أي كتاب في البحث المنهجي ولاسيما ما عند الآخر، ومحصلة المسألة في فهمي وجود فرد باحث مخترق قيميا ومهزوز معرفيا ومرجعيا، تسعى هذه الدراسة التي جاءت نتيجة مطالبة جماهير طلاب الإعلام والاتصال توضيح كيفيات التأصيل القيمي في الدراسات والأبحاث التطبيقية، وهو في اعتقادي بحث استنتاجي أكثر منه تأصيلي ، حيث أن الرؤية القيمية الإسلامية يجب أن تكون نابعة وصادرة عن نسق المنظومة القيمية الإسلامية من الداخل الأصيل بمنأى عن إكراهات الوافد اليومي والوقتي المهيمن . [3]

4 – تدافعات العقل الغربي والروح الشرقية :

إن مقياس (ع . س . ن) صنو مقاييس الآخر مع فارق استبدال القيمة الشرقية أو العربية أو المحلية الوطنية (الإسلامية التي لم تصرح بها الدراسة أو تستبعدها نتيجة الرواسب

---

[1] انظر : حوار محمد هاشم كريم مع الأستاذ نصير بوعلي السؤال الأول ، حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2010م ، ص 34 .. 38 .

[2] ما يعزز هذا التصور الحوار الذي أجرته الأستاذ رقية بوسنان مع الأستاذ عبد الرحمن السؤال رقم 13، وحضور شخصيات التراث في فكر وبحث الأستاذ . انظر : حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2010م ، ص 28 .

[3] انظر : حوار محمد هاشم كريم مع الأستاذ نصير بوعلي السؤال الرابع ، حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2010م ، ص 47 .. 49 .

الموروثة)، ويتم عبر وضع القيمة المتوقع كونها الأفضل بحسب الوزن الذاتي لها، ما يفقدها الحياد العلمي، ويجعلها من نتاجات الآخر، فهي لا تعدو أن تكون عملية تفصيل ثوب شرقي نصفه غربي .

5 – توشيات منهجية :

أشار المؤلف في المقدمة إلى التسطيح البحثي الرائج في الدراسات والأبحاث في المنطقة العربية والإسلامية، وهو بحسبه ناتج عن الفقر الفكري والتسيب الأدواتي حتى لما عند الآخر، وهو ما يؤكد أن هذا البحث كله شكل من أشكال المحاكاة المنهجية لما عند الآخر، مع بعض التحسينات والتوشيات القيمية المتناسبة والمسألة المبحوثة إعلاميا واتصاليا أو مضمومنيا أو وسيلة أو أثرا .[1]

6 – المنظومة القيمية الإسلامية :

يشير الباحث في المقدمة [2] إلى أس العلاقة – الصراع أو الصدام أو التدافع حسب المصطلح القرآني – بيننا وبين الغرب والآخر على أنه حضاري، حيث يحدد الوعاء الحضاري مختلف آليات ومسببات وأهداف العلاقة بيننا وبين الآخر المغاير، وهذا صحيح من جميع النواحي المختلفة للدراسة، ولكن المبادىء القيمية لنظرية الحتمية القيمية الاثناعشر التي رصّع بها المفكر نظريته، أعتقد أنها يجب أن تُحسم في عالم القيم ومكوناتها في المنظومة الفكرية الإسلامية ، وهي حسب الدراسات الفكرية والفلسفية الإسلامية تتركز على خمس قيم أساسية ، وهي : [1 – القيم العقدية الروحية ، 2 – القيم الوجدانية النفسية والانفعالية، 3 – القيم الفكرية والعقلية ، 4 – القيم الجمالية والفنية والرمزية ، 5 – القيم الأخلاقية والسلوكية] عبر منظومات وأنساق تواصلية خاصة ولصيقة جدا بالبناء الأساسي لآليات الاتصال الشرعي للفرد وشبكة تواصله الجمعي والكياني ، وتبدو سائر تمظهراتها وتطبيقاتها في سائر الجوانب الأخرى التي تفضل بها صاحب النظرية ، فقيمة الإيمانية والإنسانية والتربوية والاجتماعية والنفسية واللسانية والمكانية والزمانية والاتصالية والسياسية عند الباحث " عزي عبد الرحمن " مجرد تمظهر لهذه القيم الخمسة معا المذكورة آنفا . وهو في اعتقادي الجانب المبتور في الثقل النظري للمحتوي الثقافي للنظرية ، والذي يحتاج إلى رتق ، حيث أن الطلبة المحيطين والمهتمين بالنظرية يفتقرون إلى الفهم العميق للبحث والدرس الإسلامي الأصولي والفقهي والمقاصدي والعقدي ، وقد بدا واضحا وجليا في الكثير من الثغرات الأخرى ، ولاسيما في الحوارات التي أجروها معه .

7 – محاولات التخلص من جيوب التبعية :

---

[1] انظر : عبد الرحمن عزي ، منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم، الدار المتوسطية للنشر ، تونس ، الطبعة الأولى ، 1434هـ 2013م ، ص 9 .

[2] انظر : منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم ، ص 10 .

وبعد عرض المؤلف المفكر للنظريات التي تنتظم حقل الدراسات المنهجية في الإعلام والاتصال توقف عند منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومستنداتها المرجعية والمؤسسة على المصادر التالية : [1]

1 – القرآن والسنة .

2 – إرث العلماء المسلمين الأوائل وذكر جملة من العلماء .

4 – الأدوات المعرفية البحثية الحديثة الدقيقة التي يمكن توظيفها بوعي ولأغراض أخرى .

وهنا يبدو المأزق المعرفي والمنهجي في عدم القدرة على التخلص من إسار الآخر المسيطر على عالم التكنولوجيا الاتصالية وأبحاثها، وهو ما لا يمكن إنكاره أو الإفلات منه أكاديميا، حيث صار قدرنا المحتوم ماديا ومعنويا ومنهجيا .

وتبدو عملية الاتباع واضحة في عدم قدرتنا على خلق وتطوير مناهج بحث خاصة بنا، واعتبار التراث الإنساني مجرد هامش نتطلع إليه، لا قدر محتوم نتبعه بوعي أم من دون وعي . [2]

وقد بدا الميل نحو هيمنة ثقافة الآخر – على الرغم من ملاحظة مقومات الاعتزاز بالذات الأصيلة – في الانخراط الطوعي في راهن الغالب الضوئي ، الذي يعتمد على الصورة والحركة، وهو نقيض الأصيل الفطري الذي يعتمد على الأذن والسمع والكلمة ، فالقرآن دائما يُغلِّبُ حاسة السمع على البصر، [وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير] (تبارك : 10)، و[ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم] (البقرة : 7) .. مع كوننا نرى تعزيز الكلمة المسموعة كونها تستجيب لنداء الفطرة، مع كون الأستاذ " عبد الرحمن " قد تناول هذه المسألة الجوهرية كعامل ومتغير أساسي في التفريق بين الثقافتين الشرقية والغربية، ولكنه ظل أسير النسق الراهن الوقتي المهيمن في عالم الصورة . [3]

8 – الانفتاح على المشترك الإنساني :

إجازة استفادة الباحث من المشترك الإنساني النظري والتطبيقي والمنهجي شريطة الاستعانة بحضور وعيه الدائم في تعاملات الباحث مع جزئيات البحث . ونقد الخطاب والتراكم المنهجي الذي تضمه المكتبة العربية والإسلامية وينتظم أمر البحث والباحثين ، باعتبار أن هذه

---

[1] انظر : منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم ، ص 13 .

[2] انظر دراستنا : أثر نظرية الحتمية التكنولوجية على البحث والدرس الإعلامي والاتصالي في الجامعة الجزائرية ، رسكلة نفايات المهيمن في مراكز الردم الجامعي ، مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1434هـ 2013م ، ص 117 .. 135 .

[3] انظر : حوار محمد هاشم كريم مع الأستاذ نصير بوعلي السؤال الرابع ، حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2010م ، ص 47 .. 60 . ونصير بوعلي ، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م ، بحث محمود قلندر ، الحتمية القيمية الإعلامية مقاربة أصيلة لعلوم الاتصال ، ص 24 و 25 .

الدراسة جاءت لتضع حدا للخلط القائم في العربية حول المنهج والمناهج ، ما أوقع الباحث في تناقض داخلي حيث العودة للتأليف في المنهج مع وعي الأستاذ في مقدمته بكونه لن يضيف مؤلفا جديدا في عالم المناهج . [1]

ثانيا – الملاحظات على فصول الكتاب :

وتضم فصول الكتاب جملة من الملاحظات الواجب التنبيه إليها ، وهي :

1 – محاولات التوفيق :

وفي الفصل الأول من الكتاب : (المنهجية والمفهوم والفرضية والأداة) ص 17 .. 20 عرض الأستاذ " عبد الرحمن " جملة من المؤلفات التي اطلعنا على أغلبها، وخلص الأستاذ إلى إمكانية استخدام أي مرجع وبأي لغة يخدم الموضوع، ما يفرض على الباحث القيمي أن يقوم بعمليتين معرفيتين إنية ووافدة ثم يحاول التوفيق بينهما، وهذا ما يكشف عن حقيقة التبعية الفكرية والمنهجية وتحقق حالات القابلية في النخبة التي حذّر منها " مالك بن نبي " . [2]

ثم تحوّل الفصل إلى كتاب تعليمي صفي حول المفاهيم ، وهو ما يتنافى وعمر ومرحلية وأدبيات انتشار النظرية وتعميم مصطلحاتها وسائر تفاصيلها ، وأصول وقواعد منهج انتشار وذيوع أي نظرية بين الدارسين يخالف منطوق التعليمية التي بدت في الفصل الأول ، وكأنما يريد الأستاذ أن يقول لنا أن المفاهيم النظرية والإجرائية [البلاغ، الرحلة، المخيال الإعلامي، الزمن الإعلامي الرمزي، الزمن القيمي ، المكان الرمزي القيمي ، الرأسمال الرمزي القيمي، عنف اللسان والإعلام، البنية القيمية اللغوية ، الأخلاقيات القيمية الإعلامية ، السكة القيمية الإعلامية، القابلية الإعلامية للاستعمار، معادلة الإنسان البنابية + الإعلام ، مقياس – ع . س . ن –] ، هي التي فهمتها أنا فقط، والحقيقة غير هذا حسب منطوق تعدد طرق التوصل للمعرفة، إذ لم نعهد لنظرية أن انتشرت أو حاول صاحبها نشرها بهذه الطريقة المستعجلة، وكأنما يريد أنْ يلفت نظر الدارسين لها بعد أن أداروا ظهرهم لها في ظل حمأة الراهن التكنولوجي والإلكتروني المهيمن، وهم في غفلة عنها لاهتمامات بحثية أخرى طغت عليها من بين سيول من طروحات الغالب الإلكتروني والرقمي الوقتي . [3]

2 – مخاطر رسكلة نفايات المهيمن الثقافي :

كما اقترح أيضا – وبحسب المنهجية التعليمية التي اختارها لتعميم نظريته – حاصرا الفرضيات فقط بين عادات الاتصال والأثر، وهو عين التبعية المنهجية والبحثية لعدّ وحساب

---

[1] انظر : منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم ، ص 13 و 14 .

[2] انظر : منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم ، ص 17 .. 20 .

[3] انظر : منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم ، ص 20 .. 28 . **فهو – حفظه الله – يقوم بعمل الأنبياء والمرسلين تجاه أقوامهم الغافلين ، فهو يريد لهم – للنخبة الجامعية - خيرهم وما يفيدهم وينفعهم وهم في غفلة معرضون .**

نفايات المهيمين على حقل الوسائط، دون أن يُنظّر فاتحا الأفق أمام النخب للتعامل مع فرضياته النظرية، وهكذا أتم الفصل كله، فرضيات بحسبه . [1]

3 – التكرار للتأكيد :

وفي الفصل الثاني (دراسة الجمهور) صار التفصيل والشرح منصبا في عملية التفريق بين مفهوم البحث والمنهج وتعريفهما الدقيق، وما يجب أن يُطلق وما لا يجوز له أن يطلق على البحث أو المنهج، وتحول الفصل إلى مجرد طرح نقدي وفلسفي منهجي بحت، واعتقادي أن الأمر لو أخذ منحى التأسيس والضبط، وقُعّد بخطوط عامة وعلامات كبرى لأفضى للدقة والجدوى . [2]

4 – استفراغ الوافد المهيمن :

وفي الفصل الثالث (تحليل المضمون) ص 45 .. 55 اقتفى الأستاذ " عبد الرحمن " خطى منهج الدراسات البحثية الأكاديمية ، واستفرغ ما عند الآخر من تراكمات وتقعيدات مع بعض الإشارات التراثية المحتشمة كالصدق والاستقامة، وكان الفصل مجرد عرض لمفردات الدراسات المضمونية وفق معطيات النظريات المطروحة كتعريف دراسة المحتوى والمسألة الكمية والشكل والمحتوى الظاهري والفئات ووحدات تحليل المحتوى . [3]

5 – إنسان وثقافة المرحلة :

وفي الفصل السادس التطبيقي عن البيئة الجزائرية ص 67 .. 75 بدت الصورة – حسب رؤيتنا – عامة وبعيدة عن التشخيص الشامل لتشكيل معالم ومواصفات الصورة الحقيقية الفردية والجمعية للفرد المتخلف الموروث عن عهد ما بعد سقوط دولة الموحدين 1286م 687هـ، وعن ثقافة مرحلة التخلف، إذ أنها تشكل حجر الزاوية في الانطلاق لمعالجة ووضع خططنا الإعلامية والاتصالية والثقافية لغسل مخلفات وآثار التخلف عبر التواصل الثقافي مع الذات المتردية ، مع التنبيه إلى أن الأستاذ " عبد الرحمن عزي " تفضل بتوضيحها وشرحها عند تناوله " الواقع والخيال في الثنائية الإعلامية " مرتكزا على تحليلات وفهومات " مالك بن نبي " في " شروط النهضة " حيث اعتبار أي مشكلة في صميمها مشكلة حضارية . [4]

---

[1] انظر : منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم ، ص 28 .. 35 .

[2] انظر : منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم ، ص 39 .. 41 .

[3] انظر : منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم ، ص 45 .. 55 .

[4] نحو تأسيس فكر إعلامي حضاري متميز ، مجلة المستقبل العربي ، السنة 16 ، العدد 183 ، مارس أفريل 1994م ، نقلا عن : السعيد بومعيزة ، من حتميات التحديث إلى الحتمية القيمية محاولة قراءة مقارنة لنظرية عبد الرحمن عزي ، ص 54 . في الكتاب الذي أعده ونسقه الأستاذ نصير بوعلي ، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م . وانظر دراستنا ، التخلف والوعي المنشطر ، عن إنسان وثقافة مرحلة التخلف ، منهج التغيير بالقراءة ، كتاب سلسلة روافد ، الكويت .

*** إنسان المرحلة :**

6 – المقاييس وردم الثغرة القيمية :

وفي الفصل السابع (مقاييس القيم والاتجاهات) ص 79 .. 83 ، استأنس الأستاذ " عبد الرحمن عزي " مكتفيا بعرض سلم القيم وهيكلتها في مقاييس الآخر وتقسيماتها ، معتبرا ذلك

واعتقادي أن المسألة تكمن في التأكد من آلية الوعي المتكامل لدى الدارسين ، وبخاصة وهم يتعاملون مع المشكلة أفقيا وعموديا ، حيث أفضت مفردات تجزيء المشكلة إلى تبيّن معالم الفصل بين حدي المسيرة الحضارية للأمة ، على المستويين الفردي والكياني ، إذ بات من الصعب تجاوز معضلة التعامل مع الفرد المتخلف الذي يتصف بالصفات الآتية :

1 - الفرد المنشطر بين زمانين ، زمان الحضارة العربية الإسلامية الزاهي الزاهر الذي أفل من واقع وحكم وتوجيه الحياة اليوم ، وبين زمن تعيس بئيس قبيح متعثر ذليل فاسد .

2 – الفرد الذي لا يعيش عصره البتة ، بل هو غائب بإرادته واختياره ، أو مُغيّب عنه بالرغم منه .

3 – الفرد الذي صار يمثل ظاهرة اجتماعية وثقافية وفكرية وتربوية وأخلاقية عامة تشمل جميع أفراد المجتمع العربي والإسلامي ، وليس حالة فردية يمكن محاصرتها وعلاجها .

4 – الفرد الذي صار يشكل حالة انتكاسة حقيقية وانفلاتة سلوكية وقيمية باتجاه تعزيز قيم البداوة على قيم الحضارة والتحضر والمدنية ، على الرغم من آلاف الدولارات التي أُنفقت من أجل بناء مدن ومدنية متطورة لخدمته وجعله بعيدا عن قيم البداوة التي تبدو جلية في تعامله مع منجزات الحضارة المعاصرة .

5 – الفرد الذي صار يجسد روح الانهزام والتراخي ، وواقع القابلية للاستعمار ، والتبعية للآخر القوي فكريا وثقافيا ومعرفيا وأخلاقيا ..

6 – الفرد الذي تتنازعه عقدتان متباينتان : [الاستعباد ، العبودية] ، فهو مستعد لأن يمارس دور الدكتاتور والعبد أيضا في حالة توفر وانتفاء الظروف .

7 – الفرد الذي تتحكم فيه عقدة بروز الأنا الفردي على الأنا الجمعي وانعدام توازن خنوس الأنا الفردري على حساب الأنا الجمعي .

8 – الفرد المُعقد بعقدة الدُّهان ، على حد تشخيص المفكر مالك بن نبي ، حيث يعتقد الفرد المتخلف قدرته على فعل كل شيء ، واستبساط واستسهال كل شيء .

وهنا يكمن دور الوعي بالمشكلة انطلاقا من وعي حالة الفرد المنتكس حضاريا ، والذي هو مناط النهضة والانكسار . وهو ما جهله أو تجاهل عنه منظرو النهضة .

*** ثقافة المرحلة :**

ولا يكفي فقط للدارسين الوعي بإنسان مرحلة التخلف فحسب ، بل يجب وجوبا عينيا الوعي الحقيقي والصادق والواقعي بنوعية الثقافة السائدة في مرحلة الخنوس الحضاري ، إذ يمكننا وصف ثقافة المرحلة السائدة ، التي نحاول التدافع معها بالمواثفات والمعالم التالية :

1 - فهي ثقافة ، غلبة نزعة المديح والثناء والحمد والشكر الممل .

2 – فهي ثقافة ، غلبة نزعة التعلق بالماضي والتشظي معه .

3 – فهي ثقافة ، غلبة نزعة التسامي والاستعلاء والتفاخر بالماضي التليد .

4 – فهي ثقافة ، غلبة نزعة الشاعرية والأحلام والطوباوية والتعلق بالخيال .

5 – فهي ثقافة ، غلبة طابع الاعتزاز بالكم والحجم والشكل .

6 – فهي ثقافة ، غلبة نزعة التجزيء والتفكيك والتفتيت ، ومقولة : [فيها قولان] .

7 – فهي ثقافة ، غلبة نزعة المظاهرية والشكلانية والاحتفالية والمهرجانية .

8 – فهي ثقافة ، العجز عن إدراك روح المدنية وحقيقة الحضارة الغربية ، وغيرها من حضارات آسيا الناهضة اليوم .

9 – فهي ثقافة ، التعلق بمظاهر وشكلانية المدنية الغربية والتفكير في الحصول السهل على منتجاتها ، وليس التفكير الجاد في محاولة أنتاجها وتصنيعها .

10- فهي ثقافة ، عدم القدرة على التحكم في أدوات إنتاج المدنية وتسييرها والتحكم فيها ، ثم التخلص من نفاياتها ، في عصر الفيضان النفاياتي وغرق البشرية في مستنقع القذارات الكيمياوية والبيولوجية والنووية وغيرها من مخلفات الإنسان الحداثي المتوحش .

الجهد كافيا لرتق ثغرة القيم المهدورة لدى النخب المفكرة في العالمين العربي والإسلامي، فضلا عن خنوسها المرجعي والسلوكي الفردي والجمعي لدى مكونات الكيانات العربية والإسلامية .

7 – عالم القيم :

وفي الفصل الثامن عن (مقياس ع . س . ن) للقيم ص 87 .. 90 أجاد بدقة تصويب وتشخيص عالم القيم، وهو في اعتقادي أدق فصل من الناحية الطروحات المنهجية والمضمونية والدينية والفلسفية أيضا، وهو تجسيد معياري لمسابر وموازين سلم القيم في المنظومات القيمية السوية عموما، وفي منظومة القيم للدين الإسلامي خصوصا، مع تأكيدنا على اعتبار قدرة العقل المسلم على إنتاج القيم وفق التأسيس القرآني والنبوي.

8 – صعوبة قياس القيم :

ولكن الفصل التاسع عن (مقياس ع . س . ن . للإعلام والقيم – مستوى دراسة الجمهور) ص 93 .. 103، غابت أو طغت أو فرضت نفسها – بحكم الموروث والراهن التواصلي المنفتح مع ثقافة الآخر ولدقة الحاجة للمصافي والمرشحات الشرعية – على النسق المعرفي والفكري والمنهجي للأستاذ " عبد الرحمن " مسألة أساسية ، وهي : صعوبة قياس القيم ، وهو عائد للثغرة المعرفية في مختلف العلوم الشرعية ولاسيما موقف الإسلام من تجسيد القيم والعمل بها، أو التظاهر أو الافتخار بها، حيث سيطرة عالم الغيب على سائر الأعمال، وهيمنة ثقافة السر والتواضع والابتعاد عن الرياء والظهور اللذين هما صنو الشرك في المنظومة الدينية الإسلامية، وهو ما يجب التنبه إليه .

فمن الصعب قياس القيم الروحانية الواجب تجسدها في العمل كـ : [التقوى ، الإخلاص، والاستقامة، والصدق ، ..] في شكل استمارة أو استبيان أو اعتراف أو بأي شكل من أشكال الاستبيان، فنحن نرى الظاهر والله يعلم بالسرائر وبخائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وهو أمر يُرى بعض آثاره في الواقع مع كونه غير قابل للقياس البتة .

9 – ملاحظات مدرسية :

وفي الفصل الثاني عشر (أخطاء منهجية) ص 113 .. 121 لا تعدو أن تكون مجرد ملاحظات يقدمها المشرف أو المؤطر لطلابه كونها من العثرات الناتجة عن عدم التمكن من المنهج ، وكذلك الأمر في الفصل الثالث عشر (مغالطات منهجية) ص 125 .. 127 ، وكذلك الفصل الرابع عشر (قيم الباحث) ص 131 ، أعتقد أنها لا تعدو كونها صفات وأخلاق الباحث .

* رؤية استنتاجية :

وبعد هذا العرض التحليلي والنقدي لما سبق، والذي أردناه أن يكون مقتضبا، ولاسيما عند عرض المكونات الفكرية والعقدية والتصورية والتطبيقية لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام للأستاذ الدكتور المفكر الإسلامي العالمي " عبد الرحمن عزي " تبينا ما يلي :

1 – نخبويتها السامقة وشموليتها المعرفية كميزة مضافة للمعرفة الإسلامية .

2 – ضآلة النخب الجامعية الواعية والمؤمنة بها .

3 – حاجتها لنخب جامعية متميزة وواسعة التراكم المعرفي والمنهجي الأفقي والعمودي .

4 – جدارتها لسد وملء وتعويض الراهن والغالب الاتصالي الإلكتروني العولمي .

- **الهوامش و المراجع :**

1. حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، دار الورسم للنشر والتوزيع ، الجزائر، الطبعة الأولى ، 2011م ، ص 59 .
2. قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م ، ص 34 و 35 .
3. عبد الرحمن عزي ، دراسات في نظرية الاتصال ، نحو فكر إعلامي متميز ، سلسلة كتب المستقبل العربي (28) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ص 13 ، نقلا عن : نصير بوعلي ، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م ، بحث محمود قلندر ، الحتمية القيمية الإعلامية مقاربة أصيلة لعلوم الاتصال ، ص 20 .
4. نصير بوعلي ، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م ، بحث السعيد بومعيزة ، من حتميات التحديث إلى الحتمية القيمية محاولات قراءة مقارنة لنظرية عبد الرحمن عزي ، ص 52 .
5. عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، دون طبعة وتاريخ ، ص 14 .. وأحمد عيساوي ، مقاربات فكرية معاصرة ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1433هـ 2012م ، ص 53 .. 57 .
6. عبد الرحمن عزي ، منهجية الحتمية القيمية في الإعلام ومقياس (ع . س . ن) للإعلام والقيم، الدار المتوسطية للنشر ، تونس ، الطبعة الأولى ، 1434هـ 2013م ، ص 9 .
7. نحو تأسيس فكر إعلامي حضاري متميز ، مجلة المستقبل العربي ، السنة 16 ، العدد 183 ، مارس أفريل 1994م ، نقلا عن : السعيد بومعيزة ، من حتميات التحديث إلى الحتمية القيمية محاولة قراءة مقارنة لنظرية عبد الرحمن عزي ، ص 54 . في الكتاب الذي أعده ونسقه الأستاذ نصير بوعلي ، قراءات في نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ، منشورات مكتبة إقرأ ، قسنطينة ، الطبعة الأولى ، 1430هـ 2009م .